أ/ قطاف

مدرسة براغ

أسس العالم التشيكي **فيلام ماثيزيوس** وبعض معاونيه نادي براغ اللساني سنة 1926م، الذي أصبح فيما بعد مدرسة براغ التي عرفت بالمدرسة الوظيفية أو المدرسة الفونيمية ، وتضمّ عددا كبيرا من الباحثين في اللغات السلافية من تشيكوسلوفاكيا وخارجها ، ومن أقطابها :**تروبتسكوي**[1] ، **وجاكبسون** ، **وبوهلر** ، **وكرسفسكي** ، وغيرهم. وقد كان لمحاضرات **دي سوسير** أثر كبير في ظهور هذه المدرسة ، التي تخصصت في اللسانيات الوظيفية ، وما هذه الأخيرة إلا فرع من فروع البنيوية ، بيد أنها ترى أن البنية اللغوية والدلالية والفونولوجية للغات تُحدَّدُ بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع.

وأما عن منهج هذه المدرسة فاختصّ بدراسة نظام اللغة الكليّ بمستوياته المختلفة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية دراسة وظيفية محضة ، وإذ ذاك فقد شملت المجالات التالية :الصوتيات الوظيفية الآنية، والصوتيات الوظيفية التاريخية ، والتحليل الوظيفي والعروضي، وتصنيف التضاد الفونولوجي، والأسلوبية اللسانية الوظيفية ، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون.

واذا كان **دي سوسير** قد ذهب إلى القول :(بأنّ اللغة نظام من العلامات)، فإن مدرسة براغ ترى أنّ: (**اللغة نظام من الوظائف ،وكل وظيفة نظام من العلامات**). وقد وضّح **سامبسون** نظرة أصحاب هذه المدرسة للغة بقوله :(إنّ اللغة عبارة عن محرّك، وعلى اللسانيين أن يدركوا ما هي الأعمال التي تقوم بها المكونات المختلفة للمحرّك، وكيف أنّ طبيعة المكون الواحد تُحدّد طبيعة المكونات الأخرى).

تبرز أعمال لسانيي براغ في ميدان **الفونولوجيا** (Phonologie) ، وهو العلم الذي يهتمّ بدراسة وظائف الأصوات اللغوية من خلال الخطاب المنجز لكلّ لغة.

وفيما يلي أهمّ المبادئ التي نادت بها هذه المدرسة:

- الانطلاق في التعامل مع اللغة بعدّها واقعا فعليا خاضعا لظروف التواصل.
- الالتزام بالمنهج التزامني أثناء دراسة اللغة وما يتعلّق بها .
- استثمار مفاهيم دي سوسير في الدراسة الوظيفية للصوت اللغوي، من قبيل : التقابل ، النظام ، العلاقات التركيبية والاستبدالية ...و غيرها.
- تحليل البنية الأولية البسيطة للغة ، وهي الفونيم ، من أجل العثور على سماتها الوظيفية[2].

---

[1] - تروبسكوي (1890-1938) ودرّس في فيينا (النمسا) ، وجاكبسون (1893-1982) الذي درّس في جامعات أمريكا (كولومبيا ونيويورك وهارفرد) وكرسفسكي (1884-1955) الذي عمل في جنيف إلى غاية وفاته : ثلاثة لسانيين روس فرّوا من روسيا خلال الثورة البلشفية أو بعدها .وانضموا الى مدرسة براغ التي صارت أكبر المدارس اللسانية الحديثة ، تأثروا بدروس سوسير ، بالإضافة الى ما جاء به بودوان دي كورتوناي وتلميذه كروسفسكي (كروسفسكي هو أوّل من دعا الى التمييز بين دراسة الأصوات اللغوية في ذاتها ، أي فيزيائيا وفيزيولوجيا وبين وظائف هذه الأصوات.وكروسفسكي هو غير كرسيفسكي رفيق تروبتسكوي وجاكبسون) ، وأوتو جسربرسن من مفاهيم لسانية متصلة بالفونيم ، والتي تعدّ القاعدة التي قامت عليها مبادئ مدرسة براغ الفونولوجية .ومنذ 1930 ازداد توسع المدرسة لينضمّ إليها من فرنسا :أندريه مارتيني وإميل بنفنست ، وتينيير ، ومن النمسا : باهلر ، ومن النرويج سومرفالت ، ومن السويد ليندروث ، ومن الدانمارك : يالمسليف ...إلا أنّ نشاط مدرسة براغ لم يستمرّ سوى عشر سنوات ، غير أنّ أفكارها واصلت سيرها في أمريكا ممثلة في أعمال رومان جاكبسون المتأخرة ، وفي فرنسا ممثلة في أعمال مارتيني .

[2] أنظر مثلا إلى استعمالات صوتي الضاد والظاء في العربية ، يمكن عدُّها نماذج للتمييز الفونيمي و الفونولوجي بين الأصوات ، وهما فونيمان متمايزان إذ لا يخرجان من مكان واحد رغم وجود اشتراك في بعض الصفات :

الحَظ : البخت. أما الحَض فمعناهُ : الحث حظيظ : رجلٌ ذو حظ. أما حضيض فمعناها : أسفلُ الأرض.ظلّ : دام. أما ضل فمعناها : تاه. الظّبُ: الرجلُ المهذارُ. الضبُّ : حيوانٌ صحراويٌ زاحفٌ. الحظيرةُ : مأوى الأنعام. الحضيرَة : جماعةُ القوم أو المُعَدُّون للقتال سنهم. العنظَلُ : نباتٌ شديدٌ المرارة. الحنضَل : الماء المتجمع في التجويف الصخري. الظَّلعُ : العرج. الضلع : عظم من عظام الصدر.ظَافَ : قيد (ظَافَ البعير) أي قيده. ضاف : نزل عليه ضيفاً. الظاهر : البارز والواضح. عكس الباطن، وهو من أسماء الله عز وجل. الضَّاهِر ُ: أعلى الجبل. العَظُّ : اشتداد الزمان و الحرب. العض : الإمساك بالأسنان. عَظَّه بالأرض: ألزقه بها. عَضَّه : أمسكه بأسنانه. العَظْلُ: التضمين.العضل : الظلم والمنع. العِظَةُ: النصح والموعظة. العضة : كل شجرة كثر شوكها وعظم. العظم : قصب الحيوان الذي عليه اللحم. العضم : أداة من خشب أو حديد.

القَرْظ : دباغة الجلود. القرض : العطاء لأجل. التقريظ : المدح والثناء. التقريض : الذم الزائد. القَيْظ: صميم الصيف وشدة الحر. القيض : القِشْرَة اليابسة على البيضة. نظُف الشَّيءُ : خلُص من الوَسَخ. نَضِفَ الشيءُ : نَجُسَ عِظَة : كلام الواعظ. عِضَة : كذِب وافتراء {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ}.

المَظّ : الرمان البري. المض : الألم. (أمضني) : آلمني. النَّظْمُ: التأليف. النَّضْمُ : الحنطةُ السمينة. بظَّ: حرَّك أوتارَ العود وأعدَّهُ للضَّرب. البَض : الجلدُ الرَّقيقُ المُمتلئُ، ناصعُ البياض. نَظَرَ : أبصر بالعين. نَضَر : مصدر نضِرَ أي كان ذا رونقٍ وبهجةٍ. نَظرة : لمحة خاطفة. نضرة : حسن وجمال.

- تصنيف الوحدات الصوتية في اللغة الواحدة ووضعها في نظام اندراجي يسمح بالنظر إليها من حيث هي وقائع صوتية ذات وظائف وسمات مميزة .
- الكشف عن العلاقات التي تنطوي على وظيفة في النظام الفونولوجي للغة الواحدة ، مثل علاقات التقابل بين مجموعة الحروف الشفوية (م ، ب ، و ، ف)، أو بين الحروف الصفيرية (س،ص،ز) في اللسان العربي.
- التمييز بين التنوعات (variation) الصوتية أو الألوفونات (Allophones) [1] ، التي هي مجرّد تحقيقات نطقية لفونيم واحد ، والتغيرات التي تصيب الفونيمات فتغيّر دلالة الكلمة ، وذلك عند تبديل فونيم بفونيم آخر في السياق ذاته.

الصوتيات الوظيفية (Phonologie):

ويتولى هذا الفرع دراسة المعنى الوظيفي للنمط الصوتي ضمن نظام اللغة الشامل ، واستخراج كل الفونيمات وضبط خصائصها وتحديد كيفية توزيع ألوفوناتها .

ويعد الصوتم (Phonème)[2] محور دراسة الصوتيات الوظيفية ، الذي هو وحدة فونولوجية مجردة ، لأن ما ينطق به فعلا خلال الكلام هو المتغير الصوتي أو "اللوين" الصوتي (Allophone). والصوتم أو الفونيم هو أصغر وحدة صوتية تُعين صاحب اللغة على التفريق بين المعاني. وهو نوعان : قطعي(segmental) ويشمل كل الصوامت والصوائت، وفونيم فوقطعي (suprasegmental)، ويشمل كلّا من الفاصل ، والنغم، والنبرة (stress)، وطول الصوت.

ومن المصطلحات المتداولة في هذه المدرسة مصطلح **الفرق الوظيفي** ، وهو فرق بين صوتين ينجم عنه اختلاف في الدلالة ، وذلك كالفرق بين /P/ و/B/ في اللغة الأجنبية ، أما **الفرق غير الوظيفي** فيتمثل في الفرق بين /ب/ و/پ/ وبين /ق/ و/ڤ/ في بعض اللهجات العربية، كقولك: (باريس)و(پاريس) أو(قال)و(ڤال) ، فالاختلافات الصوتية التي لا تؤدي إلى اختلافات دلالية هي اختلافات غير فونيمية ، والشيء الذي يعين على التمييز بين الفونيمات هو في الواقع ليس الصوت بالذات ؛ بل وظيفة الصوت التي تعطينا معنى مغايرا.

وبالنسبة لهذه المدرسة فإنّ الأصوات الكلامية تنتمي الى الكلام (Parole)، وإنّ الفونيمات تنتمي الى اللغة ، وذلك بالمفهوم الذي جاء به **دي سوسير** . وفي الحقيقة، فإنّ تحليل الأصوات الكلامية إلى سمات نطقية مكوِّنة لم يكن أمرا جديدا ، ولكن تحليل الوحدات الفونيمية إلى سلسلة من التضادات الخاصة بين بعض السّمات المميزة يُعد تقدما حقيقيا في النظرية الفونولوجية ، والمنهج الوصفي بوجه عام .

وهكذا قام رواد هذه المدرسة بتصنيف الأنظمة الفونولوجية بطرق مختلفة حسب السّمات المميزة للفونيمات . ففي الانجليزية مثلا تمثل هذه الفونيمات /p/ و/ b/ ، /t/ و/d/، /k/ و/g/ تضادا (opposition) بين الصوت المهموس والصوت المجهور على مستوى مخارج الأصوات .

وبفضل أعمال مدرسة براغ في هذا الميدان أصبح الفونيم أحد المقومات الأساسية للنظرية اللسانية عامة، وللوصف العلمي ، وللتحليل المنهجي لمختلف الظواهر اللغوية المختلفة.

نظير : شبيه أو مثيل. نَضِير : أي ذا حَسَنٍ وجمال. ناظرة : متأملة للشيء بالعين ناضرة : جميلة. {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} : أي وجوه جميلة تنظر إلى ربها.

[1] -(يقول الله - بسم الله) : هناك إختلاف في نطق لام لفظ الجلالة في الاولى وفي الثانية، ولكن هذا الاختلاف لايؤثر على المعنى، وهنا نقول أن الصور المختلفة لنطق اللام ماهي الا ألفونات لفونيم اللام.

وفيما يلي عرض لأعمال رواد مدرسة براغ :

-نيكولاي **تروبتسكوي** (Nicolai Trubetzkoy): ألف كتاب مبادئ الفونولوجيا (1939م) ، ويحوي مبادئ الفونولوجيا ، ومناهج تحليل السمات القطعية و الفوقطعية ، ودراسات حول الفونولوجيا الاحصائية ، والفونولوجيا التاريخية . أطلق على البحث الذي يدرس العلاقات القائمة بين الفونولوجيا والنحو والصرف اسم : المورفو- فونولوجيا .واعتنى بتطوير مفهوم الفونيم ، ويرى أنّه (اولا وقبل كل شيء مفهوم وظيفي). وهو كذلك:(الوحدة الفونولوجية التي لا تقبل التجزيء إلى وحدات فونولوجية أخرى أصغر منها في لغة معينة).

ميّز **تروبتسكوي** بين مظهرين أساسين للدراسة الفونولوجية : دراسة دور الأصوات الكلامية في أداء الوظيفية التمثيلية للغة أولا ، وسمّاها : الفونولوجيا. ودورها في أداء الوظيفة التعبيرية والوظيفة الندائية ثانيا، وأطلق على هذا الشقّ الثاني اسم : الأسلوبية الصوتية (Phonostylistis)؛ أي دراسة الوظيفة التعبيرية للأصوات الكلامية.

توصّل أيضا إلى وضع نظام يدى التصنيف الفونولوجي(Phonological typologie) الذي يُمكّن الباحثين من معرفة نوع النظام الصوتي لأي لغة ممن لغات العالم .

هكذا أولى **تروبتسكوي** وغيره من أعضاء مدرسة براغ الفونيم وأيضا العلاقات الاستبدالية (paradigmatic) بين الفونيمات اهتماما بالغا ؛ أي بطبيعة التقابل بين الفونيمات في نقطة معينة من التركيب الفونولوجي، بدلا من العلاقات الركنية (syntagmatic)، التي تُحدّد كيفية تنظيم الفونيمات في وحدات اللغة.

كما درس **تروبتسكوي** مختلف أنواع **التضاد الفونولوجي** (Phonological opposition)، وذلك لأن الفرق الذي يساعد على تعريف الفونيم تعريفا علميا هو أن يدخل في تضاد أو تقابل فونولوجي واحد على الأقل، يقول : (إنّ كل تضاد فونولوجي بين صوتين مختلفين يمكن أن يميز بين معان فكرية في لغة معينة).

وأمّا أنواع **التضاد الفونولوجي**، فهي:

-**التضاد السالب** : وهو أن يحصل تماثل كبير بين فونيمين ، ولكن أحدهما يتضمن سمة صوتية غير موجودة في الآخر ، مثل: /س/ و/ز/، /ت/ و/د/، / ث/ و/ ذ/ ، حيث أنّ الصوت الأول من كل زوج هو صوت مجهور، فيما الآخر هو صوت مهموس.

-**التضاد التدريجي:** تختلف الاطراف المتضادة أحيانا لكونها تشتمل على درجات متفاوتة لخاصية معينة من الميل ، كدرجة انفتاح أعضاء النطق عند التفوّه ببعض الصوائت، ومثال ذلك صوائت العربية: أ ، و،ي.

-**التضاد المتكافئ:** يكون لكل طرف في هذا التضاد سمة مميزة لا توجد في الأطراف الصوتية الأخرى ، وذلك كالتضاد بين:/ م / و /ع / ، / ب / و/ خ / ..

-**التضاد الثنائي:** تشترك بعض الأزواج الصوتية في أكبر عدد ممكن من الخصائص بالمقارنة مع الأزواج الأخرى. وذلك كالتضاد الموجود بين /ك/و/خ/ مثلا، حيث يشتركان في السمات التالية: /+فمي/، /+طبقي/، /+مهموس/.فكلّما زادت عدد السمات الجامعة كانت العلاقة أكثر متانة بينهما.

-**التضاد المتعدد الجوانب:** يمثّل هذا التضاد علاقة هشّة بين الفونيمات ، فالزوجان /و/ و/ي/ لا يتماثلان إلا لأنهما من صنف الصوائت ، ومثلها :/ب/و/ع/ أو/ح/ و/ش/ مثلا لأنهما من الصوامت.

-**التضاد المتناسب** :ويكون إذا كانت السّمة المميزة نفسها توجد أيضا في الأزواج الفونيمية الأخرى، فالجَهوَرِية سمة مميزة ليس بين /p/و/b/فحسب ، بل بين /t/ و/d/ و بين و/k/ و/g/ كذلك.

-**التضاد الممكن تحييده :** يحدث حين يتغاير صوتان في بعض المواقع الكلامية ، وليس في كل المواقع ، ففي اللغة الألمانية يصير التضاد بين /t/ و/d/ محايدا إذا ما وقع هذان الفونيمان في أواخر الكلمات ، حيث أنّ الفونيم /t/ هو الذي يُنطق به ، ويطلق عليه : الفونيم الأم او الفونيم الكليّ (archiphonème) .ويتضمّن هذا الفونيم الأم مجموعة السّمات المشتركة المميزة بين الفونيمين المتضادين.

-**رومان جاكبسون** (Roman Jakobson): أسس في بداياته نادي موسكو اللساني ، ثم لا لبث أن غادر المدرسة الشكلانية لخلاف مع أعضائها ، واستقرّ في تشيكوسلوفاكيا ، وكان واحدا من مؤسسي نادي براغ اللساني .

اتنخذ جاكبسون من المقاربة الوظيفية مذهبا له ، واشتهر بنظريته الفونولوجية التي تنصّ على وجود نظام سيكولوجي كليّ منتظم وبسيط تشتك فيه جميع اللغات البشرية ، وتؤكد على ان الاختلافات الموجودة بين مختلف الاصوات الكلامية ماهي الا عبارة عن اختلافات سطحية لنظام تحتي ثابت .

بيّن في كتابه "**مقدمة في تحليل الكلام** " أنّ ثمة نظاما فونولوجيا كليّا يتضمن اثنتي عشر سمة مميزة تتصف بها كل اللغات البشرية ، ومن بين هذه السّمات :صامت/ صائت، مجهور/ مهموس، زفيري/ شهيقي/، أنفي/ شفهي ،غليظ /حاد ، رخو / شديد ، مزيد / غير مزيد ...كما انكب على تحليل الفونيمات إلى سماتها المكونة لها ، عوض النظر في كيفية توسيعها ضمن الوحدات المفرداتية المختلفة . وعُنِي بالتحليل السمعي مستعملا آلات خاصة لتحليل الأصوات على شكل موجات صوتية. وتوصّل بهذه الطريقة إلى اكتشاف مجموعة من العناصر الصوتية الكلية.

واهتم **جاكبسون** بتوضيح مبادئ الفونولوجيا التاريخية على عكس **دي سوسير**، الذي كان يركّز أكثر على الدراسة الآنية للغة ، وقد وضح هذه المبادئ العلمية في مقاله "**مبادئ الفونولوجيا التاريخية** " (1931). كما وسبق وأن ألحّ في كتابه "**ملاحظات حول التطور الفونولوجي** " (1929)على أن الطابع الوظيفي للغة يجب أن يشمل الحالة التاريخية أيضا ، وذلك من خلال دراسة التطور اللغوي عبر العصور. ورأى بضرورة العدول عن وضع حواجز بين المناهج الآنية والتزمنية كما فعلت مدرسة جنيف من قبل.

وتعدّ **نظرية وظائف اللغة الستّ** من أهم ما جاء به جاكبسون استلهمها من نظرية الاتصال التي ظهرت اول مرة عام 1948 ومفادها ان عملية الاتصال تتطلب ستة عناصر اساسية يضطلع كل عنصر منها بوظيفة معينة ، وهي:

المرسل (emitter) ←**وظيفة تعبيرية** (expressive fonction) : يهدف الاتصال إلى توضيح موقف المرسل ازاء الرسالة اللغوية.

المتلقي (receptor) ← **وظيفة النزوع** (conative fonction): الهدف من الاتصال التأثير على المتلقي.

قناة الاتصال(communicative channel) ← **وظيفة اقامة الاتصال** (phatique fonction) أو وظيفة التنبيه : وذلك إذا تعلق الأمر بالنظر في صلاحية القناة أو بِنيّة المتلقي في إقامة الاتصال أو تقوية الصّلات الاجتماعية ، من خلال عبارات معينة ؛ كعبارات التحية والترحيب والمجاملة وتبادل المشاعر، أو كقولنا: (آلو) للإجابة على الهاتف ، ولفت انتباه المرسل .

الرسالة (message)← **وظيفة انشائية** (poetique fonction) :الهدف من الرسالة تطوير شكلها بالذات .

شفرة الاتصال (code) ← **وظيفة واصفة اللغة** (metalinguistic):الهدف من الرسالة توضيح شفرة الاتصال ، أو شرح بعض المفردات.

المرجع (referent)← **وظيفة مرجعية** (referential fonction) :اذا استهدف الاتصال المرجع بالذات.

هذا وكان **جاكبسون** من الرواد في دراسة علم النفس اللغوي ، ونمو الطفل اللغوي ، حاول تطبيق ما توصّل إليه في اللسانيات والصوتيات الفونولوجية على طريقة اكتساب اللغة الأم ، وتحليل العوامل النفسية المؤثرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في عملية الاكتساب، واستنتج أنّ ثمة نظاما داخليا عاما يكتسب كل الأطفال لغتهم الأم وفق قوانينه الكلية.

عني **جاكبسون** بدراسة الحُبسة والأمراض اللغوية المختلفة ، وألحّ على وجوب دراسة الحُبسة من زوايا متعددة، لا من قبل لسانيين فحسب؛ بل بالاستعانة بأخصائيين في الأمراض العقلية، والعصبية، والنفسية. و ما نلحظه اليوم أنّ ثمة نماذج لسانية تمّ تطبيقها في دراسة الاضطرابات اللغوية كالنموذج التصنيفي، والتوزيعي، والتوليدي التحويلي ، وقواعد الحالات.

وقد توصّل إلى أنّ هناك نوعان من الاضطرابات اللغوية :

اضطرابات استبدالية : ناتجة عن تدهور قدرة اختيار الوحدات اللغوية من النظام ككلّ .

اضطرابات ركنيّة : ناتجة عن تدهور قدرة ترتيب هذه الوحدات في جمل مفيدة.

وقد كانت الأسلوبية (stylistics) والانشائية (poetics) من اهتمامات **جاكبسون** أيضا ،وقد تمحورت جلّ أعماله حول الشعر والأدب .فهو شكلاني بالأصل ، والشكلانية (Formalism) تعني التمسك الشديد بالأشكال الخارجية للفنون والآداب. وتُعنى بتحليل الأشكال في النماذج الأدبية ، بدءا من الأشكال البسيطة كالتكرار الصوتي ، وصولا إلى الأشكال الأكثر تعقيدا كالأنواع الأدبية . ويُركز الشكلانيون على الأسلوب والجوانب الفنية ، ولجاكبسون في هذا المجال مؤلفات عديدة ، منها : اللسانيات والانشائية (ضمن مُصنّفه الذي عنوانه : محاولات في اللسانيات العامة) ، شعر القواعد وقواعد الشعر، وكذلك دراسات ملحمية سلافية.

-وليم ليبوف (William Labov): ترى مدرسة براغ أنّ اللغة تتوفر على عدد من الأساليب الكلامية والأدبية التي تناسب الطبقات الاجتماعية المختلفة ، وتستعمل في سياقات موقفية معينة، وقد تأثر اللساني الأمريكي **ليبوف** بهذه الفكرة، وطوّرها في شكل نظرية لسانية محكمة ، وأفرد لها مؤلفا بعنوان: التطبُّق الاجتماعي للإنجليزية في مدينة نيويورك.

أكد في نظريته على الأساليب الكلامية المختلفة ،وكلّ ما يتعلق بدرجة الرسمية واللارسمية في الخطاب، وبعمر المتكلم ،وثقافته ، ومحيطه ، وطبقته الاجتماعية التي ينتمي اليها . واكتشف خلال أبحاثه أنّ الفرد يُغيّر لهجته وأسلوبه بانتظام ، حسب درجة الرسمية واللارسمية في الخطاب.

واعتماد مثل هذه الظواهر في تفسير اللغة مرفوض عند **دي سوسير** ، والذي تجاهل الجانب التاريخي تماما ، لأن المتكلم - في رأيه - لا يعيش إلا حاضره اللغوي ، أمّا أتباع مدرسة براغ فقد اعتنوا بالامتداد الاجتماعي للغة، وجمعوا أيضا بين الدراسة الانية والتزمنيّة ، بُغية التفسير الحسن للظواهر اللغوية ، والاحاطة بجميع جوانبها.

- الوظيفية التركيبية[1] **مع أندريه مارتيني** (André Martinet):كانت له اتصالات مكثّفة مع علماء نادي براغ اللساني ، وبخاصة تروبتسكوي ، كما شارك في أعمال هذا النادي بانتظام . تابع عن كثب تطور نظرية الرياضيات اللغوية بالدانمارك ، كما تابع أعمال صديقه يالمسليف ، وشهد أيضا تطور اللسانيات

[1] -إنّ أصغر وحدة دالّة لدى الوظيفية التركيبية هي المونيم (monéme) ، على خلاف الفونولوجيين فإنّ أصغر وحدة دالة هي الفونيم من حيث هو يدلّ بسماته الصوتية المميّزة على وظيفة في مونيم .

الأمريكية على يدي سابير وبلومفيلد .ألّف ما يربو عن مائتين وسبعين مؤلفا في اللسانيات العامة ، واللسانيات الوصفية ، والفونولوجيا الوظيفية ، والفونولوجيا التاريخية .

يعتقد مارتيني أنّ الوظيفة الأساسية للسان البشري هي ما يسمح لكل انسان أن يُبلّغ تجربته الشخصية لغيره من الناس ، وسمىت هذه الوظيفة بوظيفة التبليغ والتواصل بين أفراد المجتمع .ويُعد هذا امتدادا لمقولة دي سوسير التي يرى فيها أنّ اللغة نتاج اجتماعي في شكل تواضعات لتسهيل التواصل.

يرى مارتيني أنّ دراسة وظيفة العناصر اللغوية أمر ضروري ، لكونها الأداة المؤمّنة للتواصل بين البشر، ومن هنا لا تكفي معرفة أن اللغة تتشكل عناصرها في صورة بنى متراصة ؛ بل لابد من معرفة وظائف هذه البنى، كوظيفة التعبير عن الأفكار، عن المشاعر، الوظيفة الجمالية في النصوص الأدبية، وغيرها.

اشتهر مارتيني بمبدأ **التقطيع المزدوج** (Double articulation) ، الذي يمكّن من تحليل اللغة الى وحدات محدودة ونهائية في كلّ لغة ، وتنقسم هذه الوحدات الى مجموعتين :

- Les monémes :

(En linguistique, un monème est la plus petite unité porteuse de sens)

المونيم أصغر وحدة لغوية تحملُ دلالةً ، ويسمى المستوى الذي تتموضع فيه بمستوى التقطيع الاوّل .

المونيم أصغر وحدة دالة والمورفيم أصغر وحدة صرفية ، يلتقي المونيم والمورفيم في نقطة محددة ، إذا كانا يدلاّن معاً دلالة محددة مهما يلتقيان من هذه الجهَة ، فهما متقاطعان من حيثُ الدلالة ، ومختلفتان من حيثُ إنّ المونيم وحدة دلالية، والمورفيم وحدة صرفية.

جملة : (قرأ الطالب كتابين) ففيها فعل هو مورفيم صرفياً ومونيم دلالياً وفكرةً + ال مورفيم التعريف + طالب وفيه طلب واسم الفاعل + وكتابين فيه مورفيم كتاب وعلامة التثنية.

الكتاب مثلا: فهو مورفيم من حيثُ إنه ذو صيغة صرفية محددة وهو مونيم من حيثُ إنه دال على معنى أو فكرة .

فبَعد هذا التحليل لا يمكن تجزيء الجملة أكثر ؛ إذ لن نحصل على وحدات ذات معنى ، (فكلمة) كتاب مثلا لا يمكن تحليلها إلى (كتا) فقط أو(تاب)فقط ، لأنّهما وحدتان غير دالتين.

مثال آخر: (أوَ مُخرجيَّ هم ؟) : هذه جملة مركبَة من مورفيمات : همزة الاستفهام+ واو الاستئناف+ ميم اسم الفاعل+ خرج الجذر المعجمي+ الياء المنقلبة عن واو المذكّر السالم وحذفَت النون للإضافَة+ ياء المتكلم .

وبذلك : يكون كلّ مورفيم من مورفيمات العبارَة [أومخرجيّ هم] تُعدّ من جهة الدّلالة مونيماً لأنها فكرة أو معنى في الذّهن.

وكل مورفيم يحمل فكرة أو دلالة نعبر عنها بالمونيم .

المورفيم إذن : وحدة صرفية دالة دلالة صرفية أو معجمية، والمونيم وحدة دلالية تعبّر عن فكرة .

متى لا يكون المورفيم مونيماً ؟ قد نجد علامة التعريف أل أو الضمير التاء أو نون النسوة ، لها صورة صرفية ولكنها لا تحمل فكرةً سوى أداة الربط أي تكون الصُّرفَةُ [المورفيم] وحدة صرفية دنيا تدل على وظيفَة صرفية ربطية .

الضمائر تنوب عن الظاهر، أل تدل على التعريف ، الضمير يصلح لوظيفة الاحالة النحوية...

Les phoneme : الفونيم وحدة صوتية تمييزية distingtive ،وهي وحدات غير دالة في ذاتها ، وتظهر على مستوى التقطيع الثاني .

الوحدة كتاب يمكن تحليلها بتجزيئها إلى وحدات غير دالة هي : ك / ت / ا / ب.

ويساعد **التقطيع المزدوج** على تحقيق مبدأ لغوي معروف بـ " **الاقتصاد اللغوي** " ، والذي يجعل الوظيفة التواصلية تتمّ بواسطة عدد محدود من الفونيمات (الوحدات غير الدالة) والمونيمات (الوحدات الدالة) . ويرى **مارتيني** أن مبدأ الاقتصاد في اللغة يتمثّل في التقطيع الثاني بشكل أكبر .ففي العربية مثلا يمكّن نظام اللسان العربي مستعمله من تبليغ معانٍ مختلفة بمجرّد إحلال فونيم محلّ فونيم آخر.

أقسام الوحدات اللغوية باعتبار وظائفها :

1-المونيم المكتفي :هو ذلك المونيم الذي تتجلى علاقته بباقي الوحدات في العبارة من خلال معناه ذاته ، ومن خصائصه أنّه لا يرتبط بموضع محدد في العبارة ، ولذلك سمّاه **مارتيني** بالمكتفي ، ومن أمثلته : ظروف الزمان (أمس ، غدا..).

ففي قولنا :(سافر علي أمس) يجوز تقديم المونيم (أمس) أو تأخيره دون أن تتغيّر وظيفته[1].

2-المونيم الوظيفي :وهو تلك الوحدة التي تقوم بدور إسناد وظيفة لوحدة أخرى لا يمكن لها أن تستقلّ بنفسها في سياق الجملة ، وذلك مثل حروف الجر في اللغة العربية ، التي يتّضح دورها النحوي في إسناد وظيفة ما إلى الاسم الذي بعدها.

نقول:(هذا القلم لعليّ) فالمونيم (في)أسند لـ (علي) وظيفة المِلكية، إلى جانب الأثر الشكلي (الجرّ).

والوظيفة تعني هنا الظاهرة اللغوية التي تدلّ على الصلة بين وحدةٍ من التجربة، والتجربة في جملتها.

3- المونيم التابع : ويسمى تابعا لأنّه لا يحقق وظيفته إلا بتبعيته لغيره من الوحدات ؛ فهو يرتبط بعبارة ما إمّا بفضل مونيم وظيفي؛ وإمّا بفضل موضعه النسبي إلى جانب بقية الوحدات في العبارة.

4- التركيب المكتفي :وهو ذلك التركيب الذي يتألّف من وحدات تكون العلاقة فيما بينها وثيقة جدا ، ولا ترتبط وظيفته بموقعه في العبارة ، ولا بدلالة كل وحدة من وحداته على حدة ، بل بدلالته الكلية ، وصلته بالسياق .ففي قولنا : (سافرت في الطائرة) يعدّ التركيب (في الطائرة) تركيبا مكتفيا.

5-التركيب الاسنادي :هو ذلك التركيب الذي يمكنه أن يشكّل خطابا بمفرده ، بحيث يكون إلا مستقلا ، خلافا للمكتفي أو الوظيفي ، الذين لا يستطيع أي منهما أن يستقلّ بنفسه لتشكيل خطاب .

ففي قولنا: (نزل المطر في ربوعنا أمس)..هنالك مونيم مكتفٍ (أمس) ، وتركيب مكتفٍ (في ربوعنا). وهما هنا تكملة تلحق بالتركيب الاسنادي المستقل ، الذي هو في هذا المثال : (نزل المطر). ومن هنا يمكننا القول إنّ

---

[1] -ينبغي الانتباه إلى أنّ عدم التغيير هذا لا يمسّ المعنى في مظهره المقامي ؛ فالمعنى من شأنه أن يتغيّر عند تقديم الظرف وتأخيره ، إذ هناك فرق معنوي واضح بين جملة (أمس سافر محمد) ، وجملة (سافر محمد أمس) . إنّ الذي لا يتغيّر هو الوظيفة النحوية للمونيم أمس ، وليس معناه المراد بالنظر إلى مقامه في الجملة. أمس الأولى ظرف زمان مبني على الكسر في محل نصب مفعول فيه ، متعلق بفعل محذوف يفسّرُه الفعلُ سافرَ المذكور ويُقدّر به: أمس الثانية: ظرف زمان مبني على الكسر في محل نصب مفعول فيه ، متعلق بالفعل المذكور سافرَ.
الأول ذكر الظرف متقدماً ولذلك فإنه يُعلّقُ بفعل قبله مقدّر ، مُفسَّر بالمذكور أي يدلّ عليّه المذكور، لأنّ الظّرف ينبغي أن يتعلّق بسابق له وليس بمتأخّر عنه . طبعا هناك اختلاف في المعنى : إذا قدّمت الظّرف فالعنايَة مصروفَة إلى زمان وقوع الحدث: فإذا قلنا: أمس سافر زيدٌ، فمَعْناه: أمس سافرَ لا اليوم . وإذا أخرتَ الظّرفَ وقدّمتَ الفعل فالحدَثُ هو الأهمّ. وإذا وسّطتَ الظّرف بين الفعل والفاعل فهو في منزلة وسطى من العنايَة والاهتمام (سافر أمس محمد). سافر أمس زيدٌ ولم يُسافرْ اليومَ - أمس سافر زيْدٌ لا اليومَ - سافر زيد أمس ولم يُسافر زيد اليومَ (لاحظ أهميةَ ترتيب الكلمات في الجملَة).

التركيب الاسنادي هو النواة التي تقوم عليها العبارة ، وترتبط بها سائر الوحدات بصفة مباشرة أو غير مباشرة . ويتكوّن التركيب الاسنادي من مسند (Prédicat) ومسند إليه (Sujet).

6-الإلحاق : يعدّ إلحاقا كلّ وحدة تضاف إلى المركّب الاسنادي ، والإلحاق يشبه مفهوم "الفضلة " في النحو العربي . وقد ميّز **مارتيني** بين ضربين من الإلحاق : الالحاق بالعطف ، والالحاق بالتعلّق .

6-1-الالحاق بالعطف (Coordination): مثل الملحق "هداية" في قولنا : العلم نور وهداية.

6-2- الالحاق بالتعلّق (Subordination):ويشمل وظائف نحوية مختلفة كالنعت، والمضاف إليه ، والمفعول به وغيرها ، مثل الملاحق :"كتابا " و"نافعا " في قولنا : إشترِ كتابا نافعا.

7- المزج : أو الإلغام في العربية .

وهو ظاهرة نحوية انتبه إليها **مارتيني** ، فقد يحدث أن تكون القطعة الصوتية ممزوجة ، وذلك عند وجود مدلولين متداخلين في دال واحد ، ممّا يعيق عملية التحليل إلى قطع متوالية .

ومثال ذلك في الفرنسية :

-je vais au marche

-je vais a le marche

فكلمة (au) في المثال الأوّل مركّبة من : a+le .

فهي **ممزوجة** من حيث هي دال تَرابَطَ فيه مدلولان هما : a وle .

وفي الانجليزية يصعب التحليل القائم على نزعة التقطيع في مثل صيغ الجمع ؛ ففي كلمة (man) التي جمعها (men) لا نستطيع أن نميّز بين ما يعود لأصل الكلمة men وما يعود للجمع .

وفي العربية كذلك يصعب تحليل بعض صيغ الجمع ، مثل صيغة (كُتُب)،التي لا يمكن تحليل علامة الجمع فيها إلى قطعة صوتية محددة .وكذلك صيغ بعض المشتقات كصيغة (كاتب) ، التي لا يمكن تمييز علامة اسم الفاعل فيها من الجذر كتب في صورة صوتية محددة ، بينما نستطيع ذلك في الفرنسية كما في : Porteur، الذي يمكن تحليله إلى قطعتين محددتين هما: المونيم المعجمي Port ، والمورفيم النحوي eurعلامة الفاعل.

ويظهر المزج كذلك بين المونيم والمورفيم ، فالمونيم إمّا أن يكون وحدة معجمية[1] ، أي جذر الكلمة التي تعود إلى المعجم . وإمّا أن يكون مورفيما (وحدة نحوية) ، بحيث يشير بشكل مباشر إلى وظيفة نحوية .

ففي قولنا :(محمدٌ وخالدٌ يحبّان المطالعة) نحصل على التقسيم الآتي :

محمد ، خالد ، يحبّ ، المطالعة (وحدات معجمية أو لكسيمات)

_، و، _، ان، الـ ، _ (وحدات نحوية).

---

[1] - **الليكسيم** : وحدة لغوية غير وظيفية ولا مشتقة، إنها تحيل إلى مفهوم مجرد أو حسي مستقل عن مقام التداول اللغوي ، ففيها معنى المعجم الليكسيك . والليكسيم هو أصغر وحدة معجَمية دالة ، ولا تُقبَل المادّة اللغويّة للإدخال في المعجَم إلاّ إذا توفّر فيها شرط الليكسيم . و الكلمة المعجمية قد تتألف من أكثر من ليكسيم ، وحدات معجمية: جذر معجمي + زيادة حرف أو أكثر له دلالة في المعجم أيضاً ، ويتحصّل من هذا المركّب ليكسيم بسيط أو مركّب ، مثال : حضرمي = مدينَة حضرموت + اللفظ الدال على المنسوب إليْها . التعريف المُتداول في المعاجم اللغوية هو التالي :

Le lexème est le morphème lexical d'un lemme, c'est-à-dire une unité de sens et de son qui n'est pas fonctionnelle ou dérivationnelle.Le lexème renvoie à une notion abstraite ou concrète indépendante de la situation de communication.

-**الليكسيم** :وحدة معنوية وصوتية ليسَت وظيفية ولا اشتقاقية ، مَعزولَة عن السياق ومُتصوَّرة باعتبارها أصغر وحدة غير قابلة لأن يتشتق منها أو تُجزَّأ .

-**الليكسم** مفهوم مادي أو مجرد كأسماء الافعال أو الصفات أو أسماء الأعلام أو غيرها. و عندما نحلل الكلمَة بوصفها ليكسيماً نعزلها أولاً من جهة، ثم ندرسُها في سياقاتها من جهة ثانية، وإنما نعزلُها لنعرف بنيتَها اللفظية الخاصة التي تعبر عن بنية دلالية أو مفهوم.

-**المورفيم** : وحدة صرفية تدل على: الزمن أو الشخص أو النوع أو العدد أو البناء اللفظي الدال . -**المونيم** : وحدة دلالية دنيا.

وتشكّل **المونيمات** التي هي وحدات معجمية قِسما مفتوحا ذا وحدات متغيّرة ومتجددة ، بينما تشكّل **المورفيمات** قسما مغلقا وحداته قارّة ومحدودة.

مراجع المطبوعة:

1- أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

2- الطيب دبة ،مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستيمولوجية.

3- حافظ إسماعيلي علوي و امحمد الملاخ: قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2009.

4-عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، 2000.